مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

العدد الثالث عشر
1996

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1425 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1996 أفرنجي

المنهج العلمي عند العرب

أبحاث منقودة

العامل النحوي في ميزان النقد

تراجم من الفكر الغربي

إسلام

د. سالم مرشان

لفظ «إسلام» مصدر للفعل: «أَسْلَمَ» ومادته: «سَلِمَ». وأول ما يتبادر إلى الذهن من معنى كلمة «إسلام» أنه الدين الحق الذي جاء به محمد بن عبد الله النبي العربي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه من عند الله عز وجل، وقد بلغه للناس كافة، وهو الدين الخاتم لجميع الرسالات السماوية، وقد عرف باسم الإسلام منذ عهده الأول، وهو نفس الدين الذي جاء به جميع رسل الله وأنبيائه من عند المولى تبارك وتعالى عليهم الصلاة والسلام[1].

وقد سمَّى الله تعالى هذه الأمة المحمدية المسلمين في كل الكتب السماوية السابقة، وفي القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2].

وقد عُنِيَ المفسرون والمتكلمون واللغويون وغيرهم من الباحثين برد المعنى الشرعي للفظ: «إسلام» إلى أصله اللغوي؛ فقد جمع فخر الدين الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ جملة من الآراء في ذلك،

(1) فأنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام كلهم مسلمون كما جاء في الآيات الكريمة من 127 إلى 132 من سورة البقرة، والآية 84 من سورة يونس والآية 51 من سورة آل عمران، والآية 101 من سورة يوسف، والآية 36 من سورة الذاريات وغيرها.

(2) سورة الحج جزء من الآية رقم 76.

فقال: «وأما الإسلام ففي معناه في أصل اللغة ثلاثة أوجه: الأول أنه عبارة عن الدخول في السِّلم، أي في الانقياد والمتابعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[3] أي لمن صار منقاداً لكم ومتابعاً لكم.

والثاني من أسلم أي دخل في السلم، كقولهم: أسنى وأقحط، وأصل السلم السلامة.

والثالث قال ابن الأنباري: المسلم معناه المخلص لله عبادته، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلص له، فالإسلام معناه: إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى»[4].

فالإسلام إذن يأتي بمعنى الخضوع والاستسلام، وإخلاص العبادة لله تعالى وحده، والانقياد الشامل للظاهر والباطن[5].

ولعل هذا المعنى هو ما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[6].

وذلك لأن دين الإسلام مبني على أمرين: الاعتقاد والعمل، أما الاعتقاد فإليه الإشارة بقوله: «أَسْلَمَ وَجْهَهُ»، حيث إن الإسلام هو الانقياد والخضوع، والوجه أحسن أعضاء الإنسان، فالإنسان إذا عرف بقلبه ربه، وأقر بربوبيته، وبعبودية نفسه فقد أسلم وجهه لله.

وأما العمل فإليه الإشارة بقوله: «وهوَ مُحْسِنٌ»، ويدخل فيه فعل الحسنات وترك السيئات[7].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[8] يشير القرطبي إلى أن المراد بالسلم في الآية الكريمة هو الإسلام،

---

(3) سورة النساء جزء من الآية رقم 93.

(4) التفسير الكبير للرازي مجلد 2 ص417، وانظر كذلك: الكشاف للزمخشري جـ1 ص228.

(5) تفسير المراغي ـ أحمد مصطفى المراغي جـ3 ص117، وانظر كذلك: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري على حاشية الطبري جـ3 ص167.

(6) سورة النساء، الآية: 125.

(7) الرازي ـ مصدر سابق مجلد 3 ص325.

(8) سورة البقرة جزء من الآية رقم 208.

إذ يقول: «أي كونوا على ملة واحدة، واجتمعوا على الإسلام، واثبتوا عليه، ومنه قول الشاعر الكندي:

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسِّلْمِ لَمَّا رَأَيْتُهُمُ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا[9]

أما من حيث حقيقة الإسلام الشرعية فإن كثيراً من العلماء يرون أن الإسلام هو الامتثال الظاهري لما جاء به النبيّ ﷺ، أي الإذعان للأوامر والنواهي، سواء عمل بها أم لم يعمل، ويتحقق هذا الانقياد بالنطق بالشهادتين، أما غيره كالصلاة مثلاً فإن اعترف المكلف بوجوبها عند السؤال عنها فإنه يحقق الامتثال والإسلام.

ويرى فريق آخر من العلماء أن الإسلام هو التصديق الباطني، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[10]، وعلى هذا فالنطق دليل عليه، والأعمال كمال له.

ومن هنا فإن علاقة الإسلام بالإيمان باعتبار حقيقتهما اللغوية بينهما تغاير في المفهوم، أي بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في المصدق بقلبه فهو مسلم لغة ومؤمن كذلك، وينفرد الأعم وهو الإسلام فيمن انقاد ظاهراً.

وباعتبار حقيقتهما الشرعية على الرأي الأول هما متغايران مفهوماً (أي معنى) وذاتاً (أي ما صدقا)، لأن التصديقات الباطنية تغاير الامتثالات الظاهرية، ومتلازمان شرعاً باعتبار المحل بعد اتحاد الجهة المعتبرة، أي إذا قصد الإيمان المنجي في الدنيا وفي الآخرة، فلا يوجد مسلم ليس بمؤمن، ولا مؤمن ليس بمسلم.

أما إذا نظرنا إلى مطلق الإيمان ومطلق الإسلام فلا تلازم بينهما، بل بينهما العموم والخصوص الوجهي باعتبار محلهما يجتمعان فيمن صدّق بقلبه وانقاد ظاهراً، وينفرد الإيمان في المصدِّق بقلبه فقط، وينفرد الإسلام في المنافق[11].

وأما باعتبار حقيقتهما الشرعية عند أصحاب الرأي الآخر فهما مترادفان في

---

(9) جامع أحكام القرآن للقرطبي جـ3 ص22.

(10) سورة الزمر جزء من الآية رقم 22.

(11) دراسات في الحديث النبوي ـ السيد محمد الحكيم ص116 وما بعدها، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ـ موسى شاهين جـ1 ص39، مذكرة التوحيد/ حسن السيد متولي ص35/ 36.

عرف الشرع، وهو ما سار عليه فخر الدين الرازي، واستدل عليه بدليلين:

الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[12] فهو يقتضي أن يكون الدين المقبول عند الله ليس إلاّ الإسلام، فلو كان الإيمان غير الإسلام وجب أن لا يكون الإيمان ديناً مقبولاً عند الله، ولا شك في أنه باطل.

الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[13]، فلو كان الإيمان غير الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان ديناً مقبولاً عند الله تعالى، وهذا أيضاً باطل[14].

ويرى الإمام الغزالي أن الإسلام يطلق شرعاً على ثلاث معان:

أولاً: إطلاق الإسلام بمعنى الاستسلام ظاهراً باللسان، والجوارح، مع إطلاق الإيمان على التصديق بالقلب فقط، وعلى هذا فالإسلام والإيمان مختلفان.

ثانياً: أن يكون الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً، ويكون الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب، فالإسلام على هذا أعم من الإيمان.

ثالثاً: أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعاً وكذا الإيمان، وعلى هذا فالإسلام والإيمان مترادفان[15]. ويظهر أثر هذا التحقيق في مسألة مهمة من مسائل علم الكلام، وهي: ما حكم من ارتكب كبيرة في الإسلام؟[16].

---

(12) سورة آل عمران جزء من الآية رقم 19.

(13) سورة آل عمران جزء من الآية رقم 85.

(14) وقد ردّ الرازي على من يقول بأن الإيمان والإسلام متغايران، ولمعرفة المزيد عن هذه المسألة يمكن الرجوع إلى التفسير الكبير للرازي مجلد 2 ص417.

(15) إحياء علوم الدين للغزالي جـ1 ص121/ 122.

(16) ومن المعلوم أن كثيراً من علماء الكلام يقولون إن المسلم إذا ارتكب كبيرة فهو مؤمن عاص، وأمره مفوض إلى الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وهو الرأي الذي تميل إليه النفس، وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى مؤلفات علماء الكلام، مثل المواقف للإيجي، والعقائد للنسفي، والفقه الأكبر لأبي حنيفة، وغيرها.

وأختم هذا بقول ربي جلّ وعلا: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[17].

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ **أساس البلاغة** للزمخشري.

3 ـ **إحياء علوم الدين** للغزالي.

4 ـ **تهذيب اللغة** للأزهري.

5 ـ **تفسير غرائب القرآن** للنيسابوري على حاشية الطبري.

6 ـ **تفسير المراغي** أحمد مصطفى المراغي.

7 ـ **التحرير والتنوير** لابن عاشور.

8 ـ **جامع البيان في تفسير القرآن** للطبري.

9 ـ **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي.

10 ـ **شرح المواقف** للإيجي.

11 ـ **الدين والوحي والإسلام** ـ مصطفى عبد الرازق.

12 ـ **شرح أسماء الله الحسنى** للرازي.

13 ـ **التفسير الكبير** للرازي.

14 ـ **فتح المنعم شرح صحيح مسلم** ـ موسى شاهين لاشين.

15 ـ **دراسات في الحديث النبوي** ـ السيد محمد الحكيم.

16 ـ **مذكرة في التوحيد** ـ حسن السيد متولي.

(17) سورة يونس عليه السلام الآية: 10.